تجربة السجن وأثرها في شعر ابن زيدون – دراسة فنية

الباحث. مهند موفق عبدالهادي / طالب دكتوراه

المديرية العامة لتربية محافظة الانبار

Muhand8206@gmail.com

الملخص:

تعكس قصائد ابن زيدون تجربة السجن بشكل عميق، حيث يستعرض فيها آلام الحب والفقدان. يتناول الشاعر تأملاته في الحياة والحرية، مظهرًا السجن كرمز للاكتفاء والحزن. يبرز تأثير الحب المحبط والفراق كسجن عاطفي يتجاوز الحدود الجسدية، مما يجسد صراع الإنسان مع القيود والضيق. يتميز شعر ابن زيدون بتشبيعه بالمشاعر والرموز، مما يجعل تجربة السجن في قصائده مصدر إلهام وتأمل عميق.

إلى جانب ذلك، يبرز ابن زيدون في شعره تجسيدًا فنيًا لتأثير الزمن والانعزال داخل السجن. يصوّر الشاعر قسوة الأيام وتأثيرها على الروح والأمل، حيث يظهر الزمان كسجن آخر يعتري الإنسان. يعزز ابن زيدون مفهوم الحرية كقيمة ثمينة يسعى الإنسان لاستعادتها، ويعكس تأملاته عن الحياة والمصير داخل إطار الحب والفقدان. تظهر قصائده تفاعلًا عميقًا مع الجدل الروحي لتجربة السجن، مما يجسدها كمصدر للحكمة والتأمل في رحلة الحياة.

الكلمات المفتاحية: (ابن زيدون، السجن، شعر، ديوان، تجربة، الاندلس، فن، دراسة، تحليل، شعراء).

The prison experience and its impact on Ibn Zaydoun's poetry- an artistic study

researcher. Muhannad Muwaffaq Abdel Hadi/PhD student

General Directorate of Education in Anbar Governorate

ABSTRACT:

Ibn Zaydoun's poems deeply reflect the prison experience, as he displays the pain of love and loss. The poet reflects on life and freedom, showing prison as a symbol of contentment and sadness. The impact of frustrated love and separation emerges as an emotional prison that transcends physical boundaries, embodying the human struggle with limitations and distress. Ibn Zaydoun's poetry is characterized by its saturation of feelings and symbols, which makes the prison experience in his poems a source of inspiration and deep contemplation.

In addition, Ibn Zaydoun highlights in his poetry an artistic embodiment of the effect of time and isolation within prison. The poet depicts the cruelty of days and their impact on the spirit and hope, as time appears as another prison for man. Ibn Zaydoun reinforces the concept of freedom as a precious value that man seeks to regain, and reflects his reflections on life and destiny within the framework of love and loss. His poems show a deep engagement with the spiritual dialectics of the prison experience, embodying it as a source of wisdom and reflection on life's journey.

Keywords: (Ibn Zaydoun, prison, poetry, collection, experience, Andalusia, art, study, analysis, poets).

المقدمة:

ابـن زيـدون، الشـاعر الأندلسـي البـارز فـي العصـور الوسـطى، شـكل شخصـيةً أدبيـة وثقافيـة لهـا تـأثير كبيـر علـى العـالم الإسـلامي. فـي هـذا البحـث، سـنقف عنـد دراسـة عميقـة تتعلـق بـأثر السـجن فـي حيـاة إبـن زيـدون، وكيـف أثـرت تلـك التجربـة علـى إبداعـه الأدبي ورؤيته للحياة.

يعـد ابـن زيـدون مـن الشخصـيات التـي مـرت بتجـارب حياتيـة معقـدة، حيـث قضـى فتـرة مـن حياتـه فـي السـجن، وهـو الأمـر الـذي لا يمكـن تجاهلـه عنـد فحـص تـأثيره علـى طبيعـة أفكـاره وإبداعاتـه. سـنناقش فـي هـذا البحـث كيـف تشـكلت قضـية السـجن كعامـل مؤثر في تطور شخصية ابن زيدون، وكيف أثرت على إنتاجه الأدبي والفكري.

مـن خـلال اسـتعراض تحليلـي للنصـوص الأدبيـة والأفكـار التـي خرجـت مـن قلـم ابـن زيـدون بعـد تجربتـه فـي السـجن، سـنحاول فهـم كيـف تـأثرت رؤيتـه للحيـاة، وكيـف انعكسـت هـذه التـأثيرات فـي أعمالـه الشـعرية والنثريـة. يمثـل هـذا البحـث محاولـة لفهـم الربـاط الـذي قـد يكـون موجـودًا بـين التحـديات الحياتيـة والإبـداع الأدبـي، خاصـة فـي حيـاة ابـن زيـدون الفريـدة. ابـن زيـدون، الشـاعر الأندلسـي البـارع، عـاش تجربـة السـجن التـي لاحقتـه طـويلاً فـي حياتـه، وقـد تركـت هـذه التجربـة بصـمة عميقـة علـى شـعره وإبداعاتـه. تجسـيدًا للمعانـاة والوجـع النفسـي الـذي خاضـه فـي السـجن، انعكـس تـأثير هـذه التجربـة فـي كثيـر مـن قصـائده، وأصـبحت تلـك القصـائد نوعًـا مـن الوثيقـة الشـعرية التـي تحكـي عن ألم الحب والفقد، وعن الظروف الصعبة التي واجهها.

في قصائده، يستخدم ابن زيدون لغة عاطفية عميقة وصورًا شاعرية مؤثرة ليعبر عن مشاعره وتجاربه الشخصية. يتناول قضايا الحب والفقدان بطريقة تكشف عن الألم العميق الذي جربه في السجن، وكيف ترك هذا الألم بصمته على نغم شعره.

قدم ابن زيدون قصائد تعبق بالشاعرية والمشاعر، حيث يستخدم التعبير الجمالي لينقل تجربته ويشدد على الجوانب الإنسانية والعاطفية للحياة. هكذا، أصبح السجن مصدر إلهام لشعره، وعبر هذه القصائد، يستمر ابن زيدون في تحدياته الشخصية وتجاربه الصعبة بأسلوب شاعري يتغلغل في أعماق الإنسان ويمس القلوب بعمق.

السجن وأثره في شعر ابن زيدون:

المبحث الأول: اثر السجن في اللفظ والمعنى عند ابن زيدون:

لا نجد شكّا في أنّ النصوص الادبية التي رأت النور من خلف قضبان السجن لها قيمة فنية إبداعية تحملت في ثنايا كلماتها الترجمة الحقيقية للذات الإنسانية والتي تخنقها آهات الغربة واناتها، من القلق ، والخوف ، والغربة النفسية[١]، فالوقوف عندها يمثل لنا قيمة علمية كبيرة لدارسيها؛ لأننا نتعامل مع الإبداع الناتج من قبل الذوات الإنسانية المتشحة بالحزن والاضطراب النفساني، والتوترات الشعورية، مما يضع المرء في خضم التجارب الفنية والإبداعية، والتي تعكس تمثيلاً شفافا للداخل النفسي للانسان.

يمكننا القول إنّ النتاج الشعري الشعري الصادر عن الشعراء الأندلسيين الذين نقلوا كثيرا من حياتهم وراء قضبان السجن وتلك الكتابات الشعرية هي أكثر الكتابات تعبيرا عن الذات الإنسانية التي يمثلون، والأكثر صلة بالنفس البشرية.

وأساسا لا يمكن النظر في شعر السجن والتجربة السجنية في النصوص التي كتبها الشعراء الأندلسيون بمعزل عن واقع حياتهم المرير.

نجد الكثير من أسباب التي أدت إلى الزج بالشاعر الأندلسي بالسجن وغالب الأسباب إن لم يكن السبب الرئيسي في دخول الشاعر للسجن هو السبب السياسي لذلك نجد كثيرا من الشعراء ذهب ضحية وشايات الحساد المبنية على الشك والتي أدت بالشاعر إلى السجن.

إن السجن هو أحد الدوافع لقول الشعر لدى الشاعر. فمن هذا المنطلق وبعد الدراسة المستفيضة للدوافع الذاتية لقول الشعر عند الشاعر ابن زيدون، وجدنا أنّ السجن هو أحد الدوافع لدى الشاعر، عندما زجّ بهِ أبو الحزم بن جهور في السجن وذلك بعدَ وشاياتِ الحسّاد ومنافسيه في حبِّ ولّادة ومن أبرزهم الوزير أبو عامر بن عبدوس، إذ كان من أبرز الحاسدين الذين أخذوا يدسون وشاياتهم بابن زيدون عند أبي الحزم ويكشف عن ميوله السياسي نحو البيت الأموي [٢] "وقد وقع الشاعر في السجن يقاسي أنواع العذاب النفسي، ليعيش فعل الصدمة النفسية التي حدثت كردّ فعلٍ على حدث مفاجئ ومفجع من دون سابق إنذار، أو استعداد من قبل الشاعر كي يتهيّأ للدفاع والمجابهة ، تحصل ما لا يتوقع حصولها بتاتاً، فيظلُّ الشاعر مذهولاً إزاءها، ليكشف بعدها أن مجرى حياته قد انكسر"[٣] عندما ننظر إلى حياة إبن زيدون، الشاعر والمفكر الأندلسي، نجد أن السجن كانت تجربة حية ومؤثرة شكلت قصة حياته وتأثرت إبداعاته الأدبية بشكل كبير. يعكس شعر إبن زيدون بعد تلك التجربة عمق المشاعر والصراعات الداخلية، ويظهر تأثير السجن على رؤيته للحياة وتوجهاته الأدبية.

ان أحد الجوانب البارزة في شعر ابن زيدون بعد السجن هو تعبيره عن الحزن والألم. يتأثر شعره بالتجربة الصعبة التي مر بها، وتظهر هذه العواطف في قصائده بشكل واضح. يتجلى ذلك في اختيار كلماته وصوره الشاعرية التي تعكس الشعور بالحبس والاكتئاب.

من خلال قصائده، يعبر ابن زيدون عن العزلة والوحدة التي شعر بها في السجن، وكيف تركت تلك التجربة أثرًا عميقًا على نظرته للحياة. يرصد في شعره تجليات الأمل المكتوم والبحث عن المعنى في وجوده.

في ظل هذه التجربة الصعبة، استخدم ابن زيدون فن الشعر كوسيلة للتعبير عن مشاعره وفهم تجربته. يستخدم التشبيه والرموز بشكل متقن ليعبر عن مرارة الحياة وينقل القارئ إلى عالمه الشاعري الذي يعكس معنى الألم والتحدي.

وحسبنا أنّ الشاعر قد باتَ ليلاً مؤلماً، يصاحبه شوق إلى أحاديث الليل التي ذهبت، وأخذ يتحسر على حاله، ويستجير بالآخرين حيث قال :(٤)

مَن يسأل الناس عن حالي فشاهدُها محضُ العَيانِ الذي يُغني عن الخَبَرِ

لم تطوِ بردَ شبابي كبرة وأرى برقَ المشيبِ اعتلى في عارضِ لشَعَر

إن الشاعر في هذه الأبيات يستعرض حاله المكسورة و ذاته الحزينة المشبعة بالاسى والاحزان، والتي لا تحتاج إلى خبر ظاهر، إن شباب الشاعر لم يمحقه الكبر وإنما طواه الحزن والأسى في غياهب السجون، حتى أن الشيب قد غطى رأسه وبرق في شعره فأصبح اللون أبيض كأنه البرق، وإن صدمة النفسية التي تأخذ بعدا نفسيا أشد عند الشاعر خاصة أنه فقد المركز الاجتماعي والسياسي في

الدولة والتي كان يتمتع بها من قبل لقد كان من أصحاب الشأن والقرار في الدولة ثم أصحابي ليلة وضحاها خلف قضبان السجن. هذه الصدمة النفسية مثلت له مزيدا من القهر والاهتزاز النفسي، ووصلت في أعماق مشاعره حتى فقد القدرة على التميز بين كثير من الأشياء تتغير الذات الإنسانية عقب هذه الصدمة إلى ذات تحس بالذل والإهانة بعد إن كانت منعمة مكرمة، ومن هنا نرى أن الهواجس قد تفجرت فصولها بنفسية الشاعر وجعلتها تعيش في حزن العميق انعكس ذلك على الأبيات التي انتجها قلمه، مما دفع الشاعر أن يلجأ إلى عدة أساليب من التضرع والتوسل والطلب للعفو والمغفرة.. وهنا يغلب عليها الإحباط وتنعدم الآمال وتُوأد الأمنيات؛[٥] لأنّ الفقدان وخاصة المفاجئ منه يحتاج الكثير من إعادة التكيف للشخص مع بيئته التي كان يرفل فيها.[٦]

فبدخول الشاعر السجن، تعيش الذات – بسبب الصدمة المفاجئة لحظات انكسار تامّ من ذات منعّمة بمكانتها وسلطتها، يكن لها الغير تقديراً واحتراماً –جبراً أو اختياراً– إلى ذات مسلوبة مهانة مسلط عليها،[٧] بعد أن كانت تتسلط على الآخرين.

ومن ههنا تنبجس الهواجس والتغيرات النفسية والتي يمكن بدورها أن تعصف بنفسية الشاعر، وتجعله يشعر –كما مر بنا آنفاً– بإحباط وعجز شديدين.

ان الشاعر يندفع إلى اللجوء لأساليب مختلفة منها مثلا التضرع للامير والتوسل اليه عسى ان يعفو عنه وعسى ان يصفح، ونراه يقول: [٨]

أمَا وألْحاظٍ مِراضٍ صِحاحْ تُصبي، وأعطافٍ نَشاوى صَوَاحْ

لِفاتنٍ بالحُسْنِ في خَدِّهِ وَرْدٌ وأُقْحُوانٌ ثَنَايَاهُ راحْ

لَــمْ أنْــسَ إذ باتــتْ يَــدِي لَيْلَةً وِشاحُهُ اللاصِقُ دونَ الـوِشَـــاحْ

أَلْـمَـمْـتُ بالأَلْـطَـفِ منهُ، ولـم أجْنَحْ إلى ما فيهِ بَعْضُ الجُنــاحْ

لأُصْـفِـيَــنَّ المُصْطَفَى جَـهْــوراً عَهْداً لروضِ الحُسْنِ عنهُ افْتِضاحْ

نجـد الشـاعر يبـدأ القصـيدة بالقسـم اذ يقسـم بـالعيون الفـاترة التـي كأنهـا يغلبهـا النعـاس كمـا يبـدو للرائـي وهـي فـي الحقيقـة ليسـت بناعسـة، إنمـا هـي مشـبعة بالـدلال، وقـد بـدأ الشـاعر بالقسـم لترسـيخ ثقتـه وصـدقه عنـد الاميـر، ولكـي يحضـر بالثقـة والأمـان لديـه ثـم بعـد ذلـك أنهـال فـي مـدح الأميـر، وهـو يرجـو أن يلقـى الأميـر ولـه فـي عفـو عنـه ومـن ثـم يـتخلص مـن قيـد السـجن ويخـرج إلـى الحريـة، وهـو فـي هـذا المـدح يبـرز ذاتـه بأنه محب للأمير وموالیا له ذلك كقوله:

يَسَّـرْتُ آمالـــي بِتَأْمِيلـــهِ، فما عَدَانيَ مِنْهُ فَوْزُ القِداحْ

لم أَشِمِ البَرْقَ جَهاماً، ولـــم أَقْتَدِحِ الصُمَّ بِبيضِ الصِفاحْ

ومـا زال الشـاعر فـي أمـلٍ كبيـر مـن الأميـر ثـم يـذهب مـن الأمـل وحـده إلـى معاهـدة الأميـر أن يكـون مبـراً لـه ويطلـق لسـانه فـي مدحـه، ولعـل الشـاعر فـي هـذا الأسـلوب قـد لجـأ إلـى بـاب الترغيـب، وجعـل يحـثّ الأميـر إلـى اغتنـام الفرصـة، ويكـون بـذلك قـد أوفـى للأميـر فـي وعـده كمـا أطلقـه مـن السـجن، فهـو يطلـق لسـانه بمـدح الأميـر، ويجعلـه بـين النجـوم والكواكـب، كـذلك لا يغفـل جانـب الشـكر والامتنـان، ومنـه قوله:[٩]

إيهِ أبا الحَــزْمِ! اهْتَبِلْ غِــرَّةً، ألْسِنةُ الشُكْـرِ عليه فِصَـــاحْ

لا طــارَ بي حَظٌّ إلى غايــةٍ، إنْ لم أكُنْ منكَ مَرِيشَ الجَناحْ

إنّ أشد الأزمات النفسية هي تلك التي يمر بها السجين وإنْ تعددت، فأبرزها الهموم التي تثقل كاهل صاحبها، فهي قيد نفسي يعاني منه الشاعر، وقد عبر الشار عن معاناته وهمومه في السجن واللافت في هذا الجانب هو أنّ تلك الهموم ليست قيوداً أو تعذيباً، بل هي أحزان القلب التي تؤرق المنام وتنحل الجسد ، وقول ابن زيدون الذي تقدم هو عبارة عن بيتين شعريين يتميزان بروح الجمال والتعبير الشاعري. نجد حين نحللهما فنيًا:

١. الهمزة والتكرار:

– استخدام ابن زيدون للهمزة في بداية البيت الأول ("ايه") يُضيف جاذبية لفتح الخطاب وإبراز الانفعال.

– التكرار في الكلمة "غرة" و"غاية" يعزز الإيقاع ويسهم في تحقيق التوازن والجمال في البنية اللغوية.

٢. التعبير والمعنى:

– "اهتبل غرة السنة": يظهر هنا استخدام لفظ "اهتبل" بمعنى الاغتنام للفرصة، فهو يحاول ان يحث الامير على اغتنام فرصة التدخل لإطلاق سراحه من السجن، والتي سيكون للأمير على الشاعر منة كبيرة يشكره عليها طول عمره باللسان الفصيح.

– "الشكر عليه ": يتضمن إشارة إلى الشكر والامتنان بشكل فصيح وسلس، مما يظهر الرغبة في التعبير بأسلوب لائق وجميل.

٣. الرمزية:

- "لا طار بي حظ الى غاية": تُظهر هذه العبارة انطباقًا للقوانين الطبيعية، حيث يرتبط الحظ بالطيران والتجاوز إلى هدف معين، مما يعكس التفاؤل والرغبة في تحقيق الأهداف.

٤. التوازن والسياق:

- تحقق البيتان توازناً فنيًا، حيث يتشكلان كوحدة تعبر عن فكرة واحدة بشكل متماثل.

- يبدو أن البيت الثاني يُظهر حالة من التأمل والصراع الداخلي حيال النجاح والفشل.

باختصار، يبرز هذا القول الفني لابن زيدون مهارته في استخدام اللغة والتعبير بأسلوب فني، ويعكس حسه العميق والشاعري في التفاعل مع مختلف جوانب الحياة والزمان .

المبحث الثاني: الأثر النفسي للسجن في شعر ابن زيدون:

لقد عبر ابن زيدون عن همومه وما يجتاحه من آثار نفسية نتيجة السن بقوله:(١٠)

ففيمَ غَضَّتْ همومي من على هِمَمِي؟ وحاصَ بي مطلبي عن وجهةِ الظَفَرِ

هنا يتساءل الشاعر، كيف أنّ الهموم العائبة أصابت همته العالية؟ وكيف كانت آماله؟؟؟ وانحرفت عن الظفر؟ فهو يعود يبحث عن الخلاص ويتساءل ويوجه

كلامه للأمير، وهل له من الخلاص من مخرج؟ ثم نرى أنّ اليأس قد دبّ في قلبه مما دفعه إلى نذر النذور فور مجيئه بالبشرى وأن يقوم بشكر الأمير والثناء عليه ، وذلك بقوله:(١١)

نَذَرْتُ شُكْرَكَ لا أنْسَ الوفاءَ بهِ إنْ أسْفَرَتْ ليَ عنها أوجهُ البشَرِ

إن الشاعر بعد أنْ عجز من الأمير ولم يحصل على ما كان من الأمل وبعدَ ما رأى أنّ تضرعاته وتوسلاتهِ لم تجد أذناً صاغية، أصبح يشكو همومه وما يعانيه من العذاب والألم في السجن ومنها سهر الليالي وعدم قدرته على النوم، فباتت تلك الآلام تقلبه ليلة كاملة دون نوم، وليس غرابة في هذا الأمر، فإنّ الألم والمرض يزدادان شدة، ويعدو ذلك إلى نفسية الإنسان، فالليل يزيد الوحشة، وتقل به الأنسة والاطمئنان، مما تزيد حالة المرء النفسية سوءاً وتباعاً عليه تزيد حالته المرضية فهو يناجي النجوم، وقد بدا عليه انكسار الذات واضحاً حين يقوم بالعرض والتحضيض لأنجم الليل ويدعوها إلى إقامة المأتم عليه وتندب فيه ذكرى الحسن ، والتي قد بددتها الأحداث المتتالية، ومن ثم يعود مفاخرا ومبتهجا بنفسه مبرزا ذاته بمكانة شامخة وله همة عليا علو النجم.

وبنظرة آخرى، حيث تتقاصر النجوم العلية وترنو ذليلة حين تبصر ذلّ وهوان الشاعر، ونجده يفصح عن هذا المعنى فيقول: (١٢)

ولو أنصفتْني –وهي أشكالُ همتّي– لألقتْ بأيدي الذُلِّ لمّا رأت ذُلّي

ولا افترقت سبع الثريا وغاضَها ويطلها ما فرّق الدهر من شملي

من خلال الأبيات الماضية فإن ابن زيدون يبث من خلال ابياته همومه ولواعجه، فنرى في ابياته التي رصدت هموم وآلام ومخاوف الشاعر، تظهر من بين طياتها لنا ذاته الحائرة والقلقة، لأنّ الحزن الداخلي الذي يجتاح روح ابن زيدون قد تحول إلى المعاناة العميقة والألم المستفيض، وهنا سواء أكانت علل جسدية أم نفسية، فإن لها تأثيرا سلبيا على الشاعر، تتمثل بما سماها الدكتور عبدالله بن الثقفان في مؤلفه (الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين) اسم (علل ذاتية)[١٣] ويقصد بذلك ما يتصل بها من علل الشكوى والعتاب والألم والفراق والحنين والشوق إلى الأهل والأقارب .

مما سلف بنا من استعراض لهموم ابن زيدون الذاتية نرى أن الشاعر في الكثير من قصائده الشعرية ورسائله كانت تصويراً دقيقا للحالة التي كان ابن زيدون يعانيها في السجون من الآلام النفسية أو الجسدية على حد سواء، مما جعله يلح كثيراً ويتضرع ويتوسل لأبي الحزم الأمير لغرض إطلاق سراحه وفك قيده.

في ختام استكشافنا لأثر السجن في شعر ابن زيدون، نجد أن هذه التجربة الحياتية الصعبة لم تكن مجرد أزمة فاحتفظ بها في أدراكه، بل أصبحت محطًا لإلهامه الشعري وجعلته ينقل تلك المشاعر العميقة إلى لوحة شعره الفنية.

تأثير السجن في شعر ابن زيدون يظهر بوضوح من خلال العواطف المتنوعة التي يعبر عنها والتي تتراوح بين الحزن والألم والتفاؤل. كانت تلك التجربة حافزًا لتعزيز تعبيره الشعري وتوسيع نطاق إبداعه[١٤].

في قصائده، نجد أن ابن زيدون لم يتجاهل الصعوبات، بل استغلها كفرصة لفهم أعماق الإنسان ونواحي الحياة التي قد تظل مخفية في الأوقات الطبيعية. ينعكس

هذا في مجموعة واسعة من قصائده التي تتنوع بين الحب والوحدة والتفكير في مفهوم الحرية.

بهذا، يظهر شعر إبن زيدون بعد التجربة السجنية كمحط فني غني بالمشاعر والفلسفة. يمتزج فيه الألم بالأمل، وينسجم الظلام مع النور، مما يجعل قصائده عبارة عن لوحة تعبيرية تستمد جمالها من تجربة الحياة الصعبة التي مر بها الشاعر الأندلسي العظيم ابن زيدون.

في ختام استكشافنا لأثر السجن في شعر إبن زيدون، نجد أن هذه التجربة الحياتية الصعبة لم تكن مجرد أزمة فاحتفظ بها في أدراكه، بل أصبحت محطًا لإلهامه الشعري وجعلته ينقل تلك المشاعر العميقة إلى لوحة شعره الفنية.

تأثير السجن في شعر إبن زيدون يظهر بوضوح من خلال العواطف المتنوعة التي يعبر عنها والتي تتراوح بين الحزن والألم والتفاؤل. كانت تلك التجربة حافزًا لتعزيز تعبيره الشعري وتوسيع نطاق إبداعه في قصائده، نجد أن إبن زيدون لم يتجاهل الصعوبات، بل استغلها كفرصة لفهم أعماق الإنسان ونواحي الحياة التي قد تظل مخفية في الأوقات الطبيعية. ينعكس هذا في مجموعة واسعة من قصائده التي تتنوع بين الحب والوحدة والتفكير في مفهوم الحرية.

بهذا، يظهر شعر إبن زيدون بعد التجربة السجنية كمحط فني غني بالمشاعر والفلسفة. يمتزج فيه الألم بالأمل، وينسجم الظلام مع النور، مما يجعل قصائده عبارة عن لوحة تعبيرية تستمد جمالها من تجربة الحياة الصعبة التي مر بها الشاعر الأندلسي العظيم إبن زيدون.

بمراقبتنا لمسار حياة ابن زيدون، الذي انعكست نفسيته بوضوح من خلال قصائده التي صاغها وهو خلف أسوار السجن، نجد أن انغماسه في دوامة همومه خلق لديه هوية جديدة. لم تعد نفس أبي فراس الساكنة قبل السجن، بل تحولت إلى وجود يتراوح بين الألم والأمل والشوق والحنين والاعتزاز والرجاء والكبرياء، وكل هذا ساهم في بناء وتشكيل وجدان جديد لابن زيدون.

فقد ارتفع فيها الصوت الدال على الأنا، و صدحت فيها آفاق الإنجازات، حيث اختفى صدى الذات وازداد تركيزه على إحراز الإنجازات، ربما ليعادل بين انكساره في السجن وفخره السابق، وليخمد بواسطتها نيران ذاته المعذبة والمبررة، وهو التفسير الذي قدمه د. نيلا غرانبر غر.: "إن الجرح النرجسي الذي لا تتحمله الأنا يجند بعض آليات الدفاع، فالنرجسية في التصور الفرويدي لا تمثل حبّ الفرد ذاته فحسب ولكنها تمثل أيضاً عاطفة القوة الكلية" [١٥].

الهوامش:

[١] ينظر: الغربة والاغتراب في الشعر العربي المعاصر محمد راضي جعفر، رسالة ماجستير جامعة بغداد ١٩٩٥م: ٥١.

[٢] ينظر: إعمال الأعلام ص: ١٧٩- ١٨٠.

[٣] ينظر: جرثومة العنف، عدنان حسب الله.

[٤] الديوان: ٩١

[٥] كلاسيكيات الشعر العربي والمعلقات العشر (دراسة في التشكيل والتأويل)، د. صلا رزق: ٤١٥/٢، دار غريب للنشر والتوزيع-القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

(٦) أساسيات في علم النفس، د. جنان سعيد الرحو: ٣٨٢، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

(٧)علم النفس والأدب، سامي الدروبي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م: ٥٨.

(٨) الديوان: ٢٤٧.

(٩) نفسه: ص: ٢٤٩.

(١٠) نفسه: ٢٥٩

(١١) الديوان: ٢٥٩.

(١٢) نفسه : ٢٦٢.

(١٣) الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، عبدالله بن ثقفان، ص: ٣٢ ،دار التوبة- الرياض،١٩٩٦م.

(١٤) ينظر: في تاريخ العرب والأندلس د. مختار العبادي دار النهضة العربية ١٩٧٨ص ٢٥٨

(١٥) النرجسية-دراسة نفسية، د. نيلا غرانبر- ص: ٧٦، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة- دمشق -سوريا ، ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع:

١. أساسيات في علم النفس، د. جنان سعيد الرحو، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٢. إعمال الأعلام، لابن حزم الاندلسي، دار الحياد، د.ط، ١٩٩٥.

٣. جرثومة العنف، عدنان حب الله،ترجمة فردريك معتوق ،دار الطليعة،بيروت،ط ٢، ١٩٩٩.

٤. ديوان ابن زيدون ورسائله، علي عبدالعظيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.

٥. الشكوى من العلة في أدب الأندلسيين، عبدالله بن ثقفان،دار التوبة- الرياض،١٩٩٦م.

٦. علم النفس والأدب، سامي الدروبي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م.

٧. الغربة والاغتراب في الشعر العربي المعاصر محمد راضي جعفر : ١ ، رسالة ماجستير جامعة بغداد ١٩٩٥م.

٨. في تاريخ العرب والأندلس د. مختار العبادي دار النهضة العربية ١٩٧٨.

٩. كلاسيكيات الشعر العربي والمعلقات العشر (دراسة في التشكيل والتأويل)، د. صلا رزق، دار غريب للنشر والتوزيع-القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠. النرجسية-دراسة نفسية، د. نيلا غرانبر، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة- دمشق -سوريا ، ٢٠٠٠م.